أغراض التماثيل

أعتقد المصريون القدماء أن أرواح الموتى، ولا سيما الملوك، تعيش مع نجوم القطب الشمالي، ولذلك وضع تمثال الملك "زوسر" في سرداب يواجه الشمال. وكان يعتقد بأن ذلك التمثال سوف يرشد روح المتوفى إلي المكان الذي تقدم فيه القرابين وتقام فيه الطقوس المختلفة حتى تتمكن الروح من زيارة جثة المتوفى في قبره. وقد وجد في سرداب الملك "زوسر" ثقبان يبدو أنهما صنعا لحرق البخور من أمامهما حتى يمكن إقامة الطقوس للتمثال.

وقد أقام الملوك والأفراد تماثيل لهم في المعابد والمقابر، ووضعوا تلك التماثيل في سراديب في مقدمة الأبنية لتكون قريبة من العالم الخارجي لارشاد الروح. وقد أقيمت بعض تلك التماثيل داخل مقصورة القربان نفسها حتى يمكن تأدية طقوس القربان أمام التمثال مباشرة. وعادة ما كانت توضع تلك التماثيل داخل "ناووس" في مقصورة القربان. وأحياناً كانت تسجل طقوس التمثال علي الجدار الأمامي للسرداب لتأمين إقامة تلك الطقوس بشكل دائم.

ومع تغير العقائد الجنائزية منذ عصر الأسرة الرابعة والتوجه نحو عبادة الشمس، بدأ وضع التماثيل في سراديب متجهة ناحية الشرق حيث سطوع الشمس. وأقيمت المعابد الجنائزية شرق الأهرامات بدلا من الشمال، وحفرت غرف الدفن بمداخل تتجه ناحية الشرق، وكان وجه المتوفى يوجه ناحية الشرق أيضا. ويبدو أن توجيه التماثيل ناحية الشرق كان الهدف منه أن يطالع التمثال الشمس عند شروقها، فقد ورد في "نصوص الأهرام" أن المتوفى يذهب إلى الشرق ليشاهد إله الشمس.

وقد أقيمت بعض التماثيل في مجموعات تضم المتوفى وزوجته وأحياناً أبنائه كذلك، وربما يرجع ذلك إلي رغبة المتوفى في أن ينعم بصحبة زوجته وأولاده، بل وفي صحبة خدمه أيضاً الذين أقيمت لهم تماثيل وهم يعدون الطعام والشراب (شكل ١٢٦).

(شكل ١٢٦) تمثال من الحجر الجيري لخادمة تصفي الجعة – من مصطبة "مرسو عنخ" بالجيزة – أواخر الأسرة الخامسة – المتحف المصري

وبعد تدهور الأوضاع الداخلية للبلاد في نهاية عصر الدولة القديمة وكثرة السطو علي المقابر وسرقة محتوياتها، أخفي المصريون تماثيلهم في البئر المؤدية إلي غرفة الدفن، ثم في غرفة الدفن نفسها. وهكذا انتقل مكان التمثال من المبني العلوي للمقبرة فوق سطح الأرض إلي غرفة الدفن التي كانت توضع فيها التماثيل الأولي في عصور ما قبل الأسرات.

وقد عمد المصريون إلي الإكثار من تماثيل المقابر التي تصور المتوفى في أوضاع ومراحل سنية مختلفة، فهي تمثله واقفاً أو جالساً علي الأرض يقرأ من صحيفة بردي أو يكتب عليها (شكل ١٢٧)، وتصوره مرة بشعر قصير أو بشعر طويل مسترسل، وأحياناً بنقبة طويلة أو نقبة قصيرة. وأعتقد المصريون أن ذلك كله كان يساعد الروح علي التعرف علي صاحبها في أوضاعه المختلفة حتى لا تضل طريقها إليه. ويبدو أن الغرض من تلك التماثيل أن تكون بديلاً عن جسد المتوفى إذا ما تعرض للفناء.

وإلي جانب ما أقامه الملوك من تماثيل في معابدهم الجنائزية، فقد وضعوا كذلك تماثيلهم في معابد الآلهة. وتمكن بعض الأفراد من وضع تماثيلهم في المعابد الجنائزية للملوك مثلما فعل أبناء الملك "جدفرع" الذين وضعوا بعض تماثيلهم في معبد أبيهم الجنائزي. واستطاع بعض الكهنة الجنائزيين من نحت تماثيلهم في جدران مقابر بعض أفراد الأسرة المالكة.